الفصل الرابع عشر

الخاتمة

مستقبل القوى الكبرى
والتنبؤات بالحروب في القرن الحادي والعشرين

القوى الكبرى:

بناء على هذه الدراسة وباستعراض الدول المذكورة فيها، فإنه في اعتقادنا أن مستقبل القوى الكبرى سيكون عالـمًا متعدد الأقطاب، وذلك قبل نهاية القرن الحادي والعشرين. ومن المحتمل أن ينحصر في الصين واليابان والهند وأوروبا الموحدة (إذا ما تمت إعادة هيكلتها) باعتبار أن بريطانيا وفرنسا وألمانيا هي الدول الرائدة في أوروبا، وروسيا الاتحادية (مع التحفظ)، وذلك بجانب الولايات المتحدة الأمريكية.

وعموما، يمكننا بإيجاز تقييم موقف الدول الكبرى المدرجة بالدراسة كما يلي:

الولايات المتحدة الأمريكية:

سيطرت الولايات المتحدة على أهم المؤسسات الدولية، وأصبح لها حضور عسكري متفوق في كل جزء من أركان العالم تقريبا. وببداية ظهور القرن الحادي والعشرين، أصبح معيار التفوق الأمريكي يفوق اصطلاح القوة العظمى، حيث بدأ الحديث عن أمريكا بأنها القوة التي لا تقهر Hyper power. من جانب آخر، هناك الخطر الذي تتعرض له الهوية والثقافة الأمريكية كما تشكلت على مدى ثلاثة قرون، وجوهرها الأنجلو - بروتستانتي، من القوة المتعاظمة من الأمريكيين من أصول لاتينية، وخاصة المكسيكيين حيث باتوا يشكلون أكبر

obeikan.com

الأقليات. كذلك تأثير الهجرة اللاتينية على وحدة اللغة ووحدة الثقافة الأمريكية، وهذه الهجرة يمكن أن تقسم أمريكا إلى قسمين فيما يتعلق باللغة (الإنجليزية والإسبانية) والثقافة (الإنجليزية واللاتينية) الأمر الذي يمكن أن يحل محل الانقسام بين البيض والسود، باعتباره الانقسام الثقافي واللغوي الأكثر أهمية في المجتمع الأمريكي. وبالرغم من ذلك، فسوف تمضي الولايات المتحدة الأمريكية في لعب دور رئيسي في العالم في القرن الحادي والعشرين في جميع المجالات تقريبا. وسيكون القرن الحادي والعشرون مختلفا تمامًا عن القرن العشرين.

فلقد غيرت الولايات المتحدة قواعد ولعبة السياسة الدولية في القرن العشرين، وأصبح العالم اليوم مختلفا لأن الولايات المتحدة أصبحت مختلفة. ولكن فإن الامتداد التقدمي الحضاري الذي بلغته أمريكا لابد له من نهاية مستقبلا، ذلك لأن التاريخ برهن بعدم استمرار الامتداد المفرط بدون نهاية، قد تكون بطيئة للغاية، أو تستمر إذا ما كانت أمريكا قادرة على تغيير أنماط أيدولوجيتها المعتمدة على القوة التي لا تقهر. وعموما يمكن القول، بأنه لئن كان القرن العشرون كان بلا ريب القرن الأمريكي، فمن المحتمل أن يكون القرن الحادي والعشرون هو "القرن الأمريكي الجديد" غير أن الإمبراطورية الأمريكية "والقرن الأمريكي الجديد" مقولتان أصبحتا محل اختبار في المستقبل.

الصين:

في تقييم لقدرات الصين المتنامية ونواياها، فإن نمو الصين الاقتصادي القوي في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين وظهورها كقوى كبرى في السياسة الدولية واتساع اقتصادها، بدت الصين مهيأة لأن تصبح ثاني أكبر اقتصاد في العالم، وفي غضون ذلك شرعت الصين في تحديث جيشها، وفى تبني موقف دبلوماسي أكثر إيجابية. وفيما يتعلق بمستقبل الصين كقوة عالمية، فإنه طبقا لتقديرات جولد مان ساش، فإن الاقتصاديات الثلاثة الكبرى في العالم بحلول

عـام ٢٠٥٠ سـتكون هـي الـصين وبعـدها أمريكـا والهنـد ـ والاثنـان في درجـات متقاربة. يتبعهم بـدرجات أكـبر بالترتيـب كـل مـن البرازيـل والمكـسيك وروسـيا وإندونيسيا واليابان. (ونحن نختلف مع هذا الترتيب حيث إن هـذه التقـديرات تعتمد فقط على حجم الدخل القومي الحقيقي وليس بالأبعاد الأخرى التي تحدد شكل القوى العظمى).

اليابان:

يحظى الاقتـصاد اليابـاني بأفـضل مكانـة في القـرن الحـادي والعـشرين، مـع توسـعها الزائـد في الـصادرات، الأمـر الـذى أدى إلى محاكـاة البلـدان الآسـيوية الأخرى، والتي تـسمى بالـدول الـصناعية الجديدة. كوريـا الجنوبيـة وسـنغافورة وتـايوان وتايلانـد، وغيرهـا مـن البلـدان الآسـيوية، للنمـوذج اليابـاني، بجانـب الصين. لقد طالبت أمريكا باتخاذ إجراءات بالحد مـن عدم التـوازن بينهـا وبـين اليابان على أثر زيادة العجز التجاري الأمريكي لصالح اليابان. والتـساؤل الـذى يثار في هذا المجال، هو كيف ستغدو قوة اليابان الاقتصادية في هذا القرن الحادي والعشرين؟ يبدو أن الإجابة الموحدة ستكون أكثر قوة، إذا استثنينا نشوب حـرب واسعة النطاق، أو نزول كارثة بيئية، أو حـصول كساد اقتـصادي وحمائيـة عـالمين على نمط ما حدث في الثلاثينيات. فيما عدا ذلك، فـإن اليابـان مـن الممكـن لهـا أن تتبوأ مكانة الدولة الرائدة.

الهند:

إن النظرة الإيجابية إلى الهنـد، أدت إلى التوقـع بأنـه عنـدما تبـزغ الهنـد فى نهايـة الأمر قوة كبرى فستنضم إلى المجتمع الغربي حيـث تعـد الهنـد ثالـث قـوة آسـيوية بازغة بعد اليابان والصين. ويخلص المحللون إلى أن الهند تنتظـر اللحظـة المناسـبة لمزيد من التوسع لتواصل محاولتهـا للـسيطرة عـلى الـدول الـضعيفة والـصغيرة في جنوب آسيا والتقدم جنوبا للدفاع عن مكانتها كقوة هيمنة في المنطقة.

روسيا:

لم يشكل الجزء الأخير من القرن العشرين مستقبلا واحدا فقط، بل أوجد العديد من صور المستقبل الدولية المحتملة لروسيا فى القرن الحادى والعشرين. فمن المحتمل أن تركز روسيا على الأولويات التي تسمح لها باستغلال "الوفرة" الجديدة في العلاقات الدولية ومع ذلك، فقد ينظر إلى هذه الأولويات على أنه يعوقها انشغال مفرط بالعظمة المفقودة وهموم الأمن التقليدية. إن روسيا سواء المعتدلة والمتكاملة أو المنعزلة والمستعدة للقتال، سوف تخرج إلى القرن الحادي والعشرين لتحدد بقدر مناسب نوع النظام الدولي. إن إيجاد مكان آمن ومثمر لروسيا في النظام الدولي سيظل ملحا في القرن الحادي والعشرين.

بريطانيا:

إن بريطانيا ستحتفظ بالحق في السير في طريقها الخاص طبقا لمقتضيات كل حاله على حده، ولا توجهها إلا مصلحتها القومية. ولقد قدمت التجربة البريطانية درسا عمليا فى الاقتصاد السياسي على نطاق واسع. فقد تشكلت النتائج من خلال التفاعل ما بين السياسة والاقتصاد. إن تقدير مجرى الأحداث في المستقبل القريب تتحفز له بريطانيا لاتباعه فى القرن الحادي والعشرين.

فرنسا:

إن اتجاه فرنسا الأكثر احتمالا هو أحد "التفوقات" المتواصلة بالنسبة إلى ألمانيا والتكيف مع بقية النظام العالمي الحالي على أساس الوزن المتواضع نسبيا لفرنسا. وسوف تستمر سياسة فرنسا لتصبح أكثر اصطباغا بالصبغة الأوروبية في مسعى اهتماماتها المتواصلة.

ألمانيا:

في غياب إستراتيجية التهديد، سوف تجرب ألمانيا ما تعرفه بشكل أفضل، وهو أن تسير حتى النهاية في ميزات كونها القوة السلسة، فى الوقت الذي

obeikan.com

تتجنب فيه على قدر الإمكان أساليب القوة العظمى التقليدية واستخدام القوة. ولكن إذا تغير هذا النظام، فسوف يتغير معه مصير ألمانيا، التى تنعم حاليا بدرجة كبيرة بحظوظ التاريخ.

التنبؤات بالحروب في القرن الحادي والعشرين:

بناء على المعطيات والدلائل التي ظهرت بها هذه الدراسة، فإن أي حرب كبرى مستقبلية ستندلع من آسيا. ومن المتوقع أن تكون هذه الحرب بين كل من الهند والصين، نظرا للتاريخ بينهما المفعم بالمشاكل والاضطرابات واستعراض القوة بين الطرفين. إن تنامي قوة الهند العسكرية وتخوف جيش التحرير الصيني منها من الممكن أن تكون الشرارة الأولى لأي احتكاك عسكري بقصد أو بدون قصد لإثبات التفوق، ولن يكون هناك رابح أو خاسر في هذه الحرب، نظرا لتعادل القوتين العسكريتين تقريبا، وخاصة إذا ما بدأت هذه الحرب في النصف الثاني من القرن الحادي والعشرين، حيث تتعامل الهند من الآن للسيطرة على جنوب شرق آسيا وأصبحت تلوح بالسلاح النووي من حين لآخر. في حين تبدو الصين في مركز عسكري يسمح لها باستغلال طاقاتها أمام التوسع الهندي. ويلعب الصراع الاقتصادي بين البلدين دورا هاما في بلوغ هذه الأهداف. فالصين في الجنوب تعتبر مناطق فقيرة وضحلة وميزاتها النسبة بحجم صادراتها للعالم ربما يكون له نهاية نظرا للسياسات الاقتصادية التي تتبعها كل من أمريكا وأوروبا أمام تدفقات السلع الصينية إليها واختلال الميزان الاقتصادي لصالح الصين. أما الهند، فهي تعلم بقدر كبير دور الاقتصاد والتكنولوجيا المتقدمة في أتباع الأساليب الاقتصادية التي تتناسب مع التقاليد والأعراف الغربية. فالهند كما كان يقال هي لندن آسيا. وعموما فإنه ليس من المحتمل أن تدوم هذه الحرب لمدة طويلة نظرا لتخوف كلا الدولتين من الانصياع إلى استخدام الخيار النووي وما يترتب عليه من فجيعة كبرى في آسيا بأسرها.

obeikan.com

وفي جانب آخر وفي شرق آسيا، توجد اليابان التي طفرت طفرات كبيرة في تقدمها الاقتصادي والعسكري وفي مستوى معيشة شعبها. إلا أن اليابان، كما ذكر في الدراسة، تعتمد في تقدمها على المواد الخام والطاقة المستوردة من الخارج، وليس لديها أسلحة نووية نظرا للإملاءات التي فرضتها أمريكا والدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية.

وبالتالي فإن اليابان ستجد في وقت ما أنها لن تستطيع الاستمرار في تفوقها إلا بما تسمح لها به أمريكا، أو قد تجد نفسها محاطة بحرب لا تجد لها مخرج للاستمرار في الاعتماد على الخارج في الحصول على مستلزماتها من المواد الأولية والطاقة، ولربما تكون الحرب بين الهند والصين - إذا ما وقعت - إحدى هذه المقيدات. كذلك فإن اليابان لن تنسى ما تعرضت له إبان الحرب العالمية الثانية من تدميرها في هيروشيما ونجازاكي من قبل أمريكا وبالتالي الضعف والاستسلام الذي منيت به أمام تحالف الأقوياء بعد الحرب. قد تجد اليابان نفسها مضطرة أمام الضعف النسبي الأمريكي من جراء التقدم المفرط لها ومشاكلها مع المكسيك في الهجرات الجماعية إليها وتغير الهوية الأمريكية إلى هوية منقسمة بين لغتين - الإنجليزية والإسبانية - وحضارة قديمة دمرتها أمريكا واستولت على أجزاء من أراضيها. قد تجد اليابان في مثل هذا التوقيت الفرصة المتاحة للدفاع عن حريتها الاقتصادية وتفوقها الذي اعتادت عليه، الأمر الذي يجعل أمريكا تتحسب ذلك بقوة عن طريق الاستعداد لمجابهة اليابان عسكريا عن طريق قواعد الأقمار الصناعية والأسلحة المتفوقة التي تعمل بالليزر والطائرات بدون طيارين والصواريخ المتقدمة فنيا. في الوقت الذي تكون فيه اليابان قد وصلت إلى مراحل عالية من التفوق كمثيلتها في أمريكا ولكن بدرجة أقل، حيث تعتبر اليابان الآن الدولة الأولى في العالم المتفوقة في الروبيتات والصناعات الهندسية فائقة الجودة والسرعة. واليابان تعلم بأنه ليس بمقدورها أن تحارب أمريكا بمفردها، فلابد لها إذن من حليف، وقد يكون ذلك تركيا التي

تبحث لنفسها عن دور عالمي يرجع بها إلى الوراء إبان السيطرة العثمانية، وتحاول مع بولندا التي قد ترى أنها حرب لا تستنفذ منها الكثير ولكن تنظر إلى مكسبها من التوسع شرقا في أوروبا. وطبقا لتنبؤات جورج فريدمان[١][٢] - George Friedman - فإنه في عام ٢٠٥٠، فمن المحتمل أن تقوم حرب عالمية بين كل من أمريكا في جانب واليابان وتركيا وبولندا من جانب آخر - وقد سماها فريدمان القوى الكبرى الجديدة - The New Great Powers - في نهاية هذه الحرب، فإن التفوق الأمريكي قد يؤدي إلى انسحاب اليابان من الحرب ورضوخها إلى الوضع الذي كانت عليه من قبل، ولكن بعد أخذها العديد من الضمانات والتسهيلات التي تتيح لها تقدمها مع بعض المكاسب السياسية، خاصة في الأمم المتحدة، وفي النهاية شريك مرة أخرى لأمريكا لضمان الهيمنة الأمريكية على آسيا والباسيفيك.

ويتنبأ جورج فريدمان بأنه بنهاية القرن الحادي والعشرين وفي عام ٢١٠٠ سوف تتحدى المكسيك الولايات المتحدة، نتيجة لتقسيم الهوية الأمريكية نتيجة للنزوح الكبير للمكسيكيين للولايات المتحدة[٣]. وفي اعتقادنا ربما تظهر بعض الصراعات بين البلدين وما يترتب عليها من مشاكل اقتصادية، وسوف تتصدع نتيجة لذلك منطقة التجارة الحرة بين المكسيك وأمريكا وكندا. وقد تلجأ أمريكا نتيجة لذلك لزيادة دعم البرازيل اقتصاديا وسياسيا والتي من المنتظر لها أن تأخذ مكانة أكبر بكثير مما هي عليه الآن مما يؤهلها مستقبلا لأن تكون قوة كبرى.

وفي اعتقادنا فسوف تظل أوروبا مستقرة ولكن ربما يكون هناك بعض التحديات بين ألمانيا الاتحادية وفرنسا لزعامة القارة الأوروبية ولكن في حدود السياسات النقدية والمالية. أما روسيا الاتحادية فقد لا تجد لها حليفا سياسيا أو شريكا اقتصاديا، وبالتالي فإنها سوف تترنح بين الشعور بالعظمة المفقودة والاكتفاء بالواقع طبقا لما تمليه عليها سياستها وخططها الاقتصادية، ولكن بدون إستراتيجية فعالة فإنها لن تستطيع أن تتنافس في نادي الدول العظمى.

ولكن فإن النظام العالمي الجديد الذي من الممكن أن تكون هي أساسه للحيلولة دون عزلتها، فإن ذلك ربما يرتفع بها في مصاف الدول الكبرى وذلك إذا ما تم استخدام مواردها الطبيعية بكفاءة عالية وهذا يتوقف على كفاءة زعماء حكمها. كذلك ربما يتم تحالف بين كوريا الشمالية وإيران مع روسيا الاتحادية بدعم وتنسيق عسكري وفي ذلك خطر كبير على الأمن والسلام العالمي إذا ما تحركت أمريكا تجاه هذا التحالف لإسقاطه. أما باكستان الدولة النووية الأخرى فسوف يكون هناك تصارع بينها وبين أفغانستان وبعض القلاقل نتيجة لاستمرار الإرهاب، الأمر الذي قد يدفع بالهند إلى التحرك لتفادي المخاطر على حدودها وسوف تقوم أمريكا بدعم غير مباشر للهند الأمر الذي قد يرفع من قدرها سياسيا وعسكريا.

من جانب آخر سوف تندثر الشيوعية في دول أمريكا اللاتينية التي تؤمن بها مثل كوبا وفنزويلا، وسوف تتبع هذه الدول البرازيل في شراكة اقتصادية وتحالفات سياسية. ومن المؤكد أنه سوف لن يتم قيام حرب بين روسيا الاتحادية وأمريكا، بل الصراع سوف يكون دائما في أروقة الأمم المتحدة ومنظماتها، وسوف يكون هناك تحالفات خفية بينهما لصالح الدولتين على حساب الدول الصغيرة والضعيفة. عموما فإن أمريكا بتورطاتها في الحروب وتدخلاتها الكثيرة، وتحالفاتها وشراكتها سوف تفقد الكثير من قوتها كدولة عظمى، طبقا لمبدأ العقد المفرط، وإذا أرادت أمريكا أن تحافظ على مكانتها وتصل إلى ما تصبو إليه في القرن الحادي والعشرين والذي أطلق عليه السياسيون القرن الأمريكي الجديد، فإنها لابد وأن تغير من سياستها وهيمنتها وتأخذ منحى جديدا يتفق مع العصر الجديد في التعامل مع جميع الشعوب والأمم. لقد خاضت أمريكا العديد من الحروب منذ استقلالها وينتهي القرن الحادي والعشرون على أن تصبح أمريكا دولة جديدة بمفاهيم جديدة ولكنها ستصبح بعد كل هذا من عداد الدول الكبرى. فالحروب لا تجلب إلا الحروب والدمار. والأمل أن يكون القرن الثاني والعشرون هو قرن الأمان والسلام والاستقرار على العالم أجمع.